مجلة آفاق لعلم الاجتماع
ISSN: 1112-8259 EISSN: 2600-6855
المجلد 12 العدد 2 / ديسمبر 2022 ص ص 214- 226

جنوح الأحداث- دراسة نفسية اجتماعية-

Juvenile delinquency- a social psychological study-

د. سميرة مرداس*
جامعة يحيى فارس بالمدية، الجزائر

تاريخ الإرسال: 2022/09/08 تاريخ التقييم: 2022/09/09
تاريخ القبول: 2022/11/29

الملخص:

شغلت ظاهرة جنوح الأحداث اهتمام العديد من الباحثين الذين حاولوا تفسيرها من الناحية النفسية والاجتماعية على حد سواء لإضفاء نظرة تكاملية لهذا التفسير. حاولنا بدورنا فهم هذه الظاهرة من خلال دراسة حالة لمراهق جانح يبلغ من العمر 16 سنة، طبقنا عليه مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية ومقياس الإدراك الأسري.

توصلنا إلى نتائج مفادها أن الحدث الجانح يعاني من اضطراب نفسي تمثل في اضطراب الشخصية البينية. كما كشف مقياس الإدراك الأسري أن هذا الحدث يعيش ضمن جو أسري مضطرب يتميز باختلال الدور الأبوي، بالإضافة إلى وجود الصراع الأسري والصراع الزوجي وتعرف هذه الأسر باسم الأسر غير الوظيفية.

الكلمات المفتاحية: جنوح، أحداث، اضطراب نفسي، نسق أسري، صراع أسري.

Abstract:

The phenomenon of juvenile delinquency has occupied the attention of researchers who have tried to explain it psychologically and socially to give an integrative view of this explanation.Through a case study of a 16-year-old delinquent adolescent, we applied the Personality Disorders Diagnostic Scale and the Family Cognition Scale.

We concluded that the juvenile delinquent suffers from a psychological disorder represented by the interpersonal disorder. The family perception scale also revealed that this juvenile lives in a turbulent family atmosphere characterized by the imbalance of the parental role, In addition to the existence of family conflict, it is known as non-functional families.

Keywords: Delinquency, juveniles, psychological disorder, family pattern, family conflict.

*سميرة مرداس، merdassamira5@gmail.com

1- مقدمة

تعتبر ظاهرة جنوح الأحداث ظاهرة اجتماعية معقدة تهدد أمن واستقرار المجتمع ومستقبل أجياله، وتنتشر هذه المشكلة في مختلف دول العالم باختلاف درجة تقدمها، كما تختلف نسب الجنوح ونوعه في المجتمع الواحد بتنوع أشكال الأسر وطبيعة العلاقات السائدة فيه، بالإضافة إلى اختلاف العادات والتقاليد التي تحكمه. ويظهر الجنوح من خلال السلوكات غير المرغوبة والمرفوضة من قبل المجتمع والتي من المفروض ألا تظهر لو كانت البيئة الأسرية للحدث سليمة ومتماسكة.

يعرف انجلش جنوح الأحداث بأنه انتهاك بسيط للقاعدة القانونية أو الأخلاقية، وخاصة عند الأطفال أو المراهقين تحت سن الثامنة عشر، لا يقبله المجتمع، ويضع عليه اللوم أو العقاب أو الإجراءات الإصلاحية(سند إبراهيم، 1990، ص 39).

بالمقابل اعتبر الكتابي مجاهد مظاهر الجنوح من الوجهة النفسية انحرافا كما انه يعتبر صورة من صور الاضطرابات السلوكية، التي تتميز بالتعبير عن الصراعات النفسية بسلوك مضاد للمجتمع والاستجابة لعدم التوافق بطرق عدوانية(الكتابي مجاهد، 1986، ص47).

2- إشكالية الدراسة

أكدت الدراسات النظرية أن سمات الشخصية تلعب دورا رئيسيا في الانحراف أو في السواء كما أكدت أن السمات الشخصية كالذكاء والذكاء الانفعالي والسيطرة والقلق تختلف بين الجانحين والأسوياء(اليوسفي، 1988)

وتتسبب اضطرابات الشخصية في عدم توافق الفرد مع نفسه أو مع الآخرين مع شعوره بالمعاناة وعدم السعادة لوجود مثل هذا الاضطراب(الستار وآخرون، 2005).

كما اعتبرت المنظمة العالمية للصحة اضطرابات الشخصية كأنماط سلوكية متجذرة وثابتة، والتي تظهر كاستجابات متصلبة للعديد من المواقف الاجتماعية والشخصية المختلفة، وتمثل هذه الأنماط السلوكية انحرافا حادا ومهما عن الأسلوب الذي يتبناه الفرد في ثقافة معينة، في الإدراك والتفكير والشعور وتحديدا طريقة إقامة علاقات مع الآخرين. هذا النمط السلوكي يميل إلى الثبات ويمس العديد من مجالات الأداء السلوكي والنفسي(حدار، 2013 ، ص ص 14- 15).

وهناك من يرجع جنوح الأحداث إلى الأسرة أو طبيعة النسق الأسري، فحسب أحمد رشوان (2012) الأسرة هي المحدد العام والشكل الخارجي لتصرفات أفرادها، فهي التي تظهر أهمية الخصائص و الطبائع والميزات التي يقوم عليها جميع أفرادها فالأسرة المتدينة مثلا هي التي يظهر أفرادها للمجتمع الطابع الديني و الالتزام في كافة جوانب حياتهم وهم أيضا يلتزمون إلى جانب ذلك بالأعراف و التقاليد ويحترمون الآخرين ويقدرونهم(أحمد رشوان، 2012).

تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية لبناء شخصية الطفل وتكوين أخلاقه بشكل عام، وشعوره بالانتماء إلى جماعة هو عنصر أساسي منها، الأمر الذي يساعده فيما بعد على التكيف والاندماج مع جماعات أخرى، فالأسرة هي التي تساهم في صنع تفكيره وتحديد مساره والقيم التي توجه سلوكه في المجتمع، وهذا ما يعكس أهمية الأسرة في تربية وتوجيه أبناءها الاتجاه الصحيح، فهي اللبنة الأولى التي يتشرب منها قيمه ومعاييره ومفاهيمه الأخلاقية والأنماط السلوكية السوية، كما يعد البناء الأسري المتماسك هو الجماعة الأولى التي توفر للطفل العطف والأمان وتغذي طفولته وتبعد عنه عوامل القلق والاضطراب(العياكلة، 2006، ص 209).

إن الأسرة السوية تحقق لأفرادها سلامتهم النفسية والصحية وتجعلهم يشعرون بالأمن والاستقرار وتقدم لهم الحب والدفء والدعم المادي والمعنوي لهم بحسب الظروف التي يتعرضون لها، أفرادها متحابين يحاولون تقليل خلافاتهم أو منع حدوثها ويحترمون بعضهم البعض(حسن العزة، 2000، ص49).

بالمقابل الأسرة المريضة أو المعتلة الوظيفية، والتي يقصد بها وجود طابع مرضي عام تعاني منه الأسرة ككل حيث تتميز بأنماط معينة من التفاعلات الجامدة واللاسوية تصنع علاقات هذه الأسرة، و إن التفاعل المرضي يعطل تطور الأسرة الصحيح ويعطل أداء أفرادها ويخلق أعراضا نفسية جديدة ومواقف تصبح بعد ذلك مشاكل الأسرة(مؤمن، 2004، ص12).

في نفس السياق يرى كفافي (1999) أن جنوح الأحداث هو علامة علـى عدم الاتزان في النسق الأسري(كفافي، 1999، ص313). لذا نتساءل في هذه الدراسة عن الخصائص النفسية والأسرية للحدث الجانح؟

هل يعاني الحدث الجانح من اضطراب نفسي، وما هو نوعه؟

ما هو نوع النسق الأسري للحدث الجانح؟

3- الفرضيات

تمثلت الفرضية العامة في أن الحدث الجانح يعاني من اضطراب نفسي ويعيش ضمن أسرة مضطربة النسق.

في حين تمثلت الفرضيات الجزئية فيما يلي:

يعاني الحدث الجانح من اضطراب الشخصية الحدية أو الاضطراب السيكوباتي.

يتميز النسق الأسري للحدث الجانح بالاضطراب من النوع الفوضوي.

4- مفاهيم الدراسة

4-1- تعريف الحدث:

نعني بكلمة حدث في اللغة العربية بصغير السن، وتستعمل خصوصا في المجال القانوني، أكثر من غيره. وبهذا المعنى تعني صغير السن الذي لم يبلغ بعد مرحلة التمييز، ولم يتجاوز سن الرشد الجنائي. والذي تحدده أغلب التشريعات في سن الثامنة عشر، حيث يعتبر العمر الزمني معيارا أساسيا لتحديد سن الحداثة، ولقد اختلفت القوانين والتشريعات في تحديد سن الحدث، ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف، فإنه يصعب وضع تعريف موحد للحدث إلا في إطار البيئة الثقافية والاجتماعية والقانونية لمجتمع محدد. كما أن القواعد التي تحكم مسؤولية الأحداث هي قواعد خاصة تختلف عن تلك التي تحدد مسؤولية البالغين العقابية(شرماط، 2014، ص 23).

4-2- تعريف جنوح الأحداث:

لغويا تعني كلمة الجنوح الميل إلى الإثم وفي مفهوم آخر تعني التخلي عن الواجب، أو ارتكاب خطأ إذ لا يعني بالضرورة ارتكاب جريمة، والجانح هو الشخص الذي يرتكب سلوك مضاد للمجتمع وليس شرطا أن يكون هذا السلوك جريمة(الزبيدي، 2008 ، ص24).

في حين يشير جنوح الأحداث اصطلاحا إلى الأحداث الذين يجب حضورهم أمام محكمة الأحداث عند القيام بأعمال إجرامية لا تتفق مع السلوك السوي لذا يجب معاقبتهم شرعا من قبل محكمة الأحداث(الدوري، 1980).

وعرفه عاطف غيث بأنه: "أسلوب أو سلوك لا يتفق مع توقعات ومعايير السلوك الفردي والعامة والمقررة داخل النسق الاجتماعي، كما يشير هذا المفهوم إلى المواقف التي ينجم عليها سلوكا مستهجنا أو غير مقبول بالدرجة التي تجعله يتخطى حدود التسامح في المجتمع"(جابر، 1997، ص187)

إذن الجنوح هو انحراف سلوك الفرد عن القوانين والقيم التي يحددها المجتمع لأسباب مختلفة تولدت عنها اتجاهات متشعبة، مما جعله ميدانا خصبا تتشارك فيه كل التخصصات من اجل إضفاء صبغة تكاملية في دراسته.

تجدر الإشارة إلى أن الباحثين والعلماء اختلفوا في تحديد مفهوم مصطلح الانحراف، فبعضهم استخدم لفظ الانحراف والبعض الآخر استخدم لفظ الجنوح، كما ذكر مصطلح الجنوح بمعاني عديدة في القرآن الكريم منها الإثم، والضلالة والميلان. واستنادا لذلك فقد تعددت التعاريف الاصطلاحية لمفهوم الانحراف بتعدد العلماء واتجاهاتهم الفكرية والنظرية، ويقصد بالانحراف من الوجهة السيكولوجية السلوك غير الاجتماعي بصفة مطلقة، وهذا السلوك يقوم على عدم التوافق بين الفرد ونفسه وبين الفرد والجماعة، ويكون اضطراب التوافق الاجتماعي لهذا الفرد سمة نفسية واتجاها اجتماعيا تقوم عليه شخصية المنحرف، وإلا كان هذا السلوك حدثا عارضا يزول بزوال أسبابه.

5- أسباب الجنوح

ذكر كرنبرج (kernberg) أن الدراسات التي أجريت على حالات اضطرابات الشخصية الشديدة، تشير إلى تعرض هؤلاء الأفراد في حياتهم المبكرة للعنف وتعرضهم للانتهاكات النفسية والجنسية والجسدية، تظهر في شكل مشاعر مؤلمة وسلبية والتي تتحول إلى سلوك عدواني اثر الخبرات النفسية المؤلمة(إبراهيم روح الفؤاد، 2006، ص21).

كما يرتكب الجانح أفعال مضادة للمجتمع بحثا عن العقاب المتولد عن أنا أعلى شديد القسوة، كما يبحث بشكل دائم عن العقاب من أجل الهدوء ويعتبر أن السبب في ذلك هو فشل حل عقدة أوديب الناتجة عن تعلق الطفل بأمه ونشأة مشاعر العدوانية اللاواعية الموجهة نحو الأب، ومشاعر الذنب خوفا من انتقام الأب هذا ما يتدخل في بناء الأنا الأعلى على أساس صورة الأب الهوامي (الأب العنيف)، وأما عن تفسير فرويد لتكرار الفعل العدواني فيؤكد أنه متولد عن المطالبة الدائمة بالعقاب من طرف الأنا الأعلى(حجازي، 1995، ص26-27).

إن اضطراب المرور إلى الفعل ليس مقتصر على المراهقين، الذين يظهرون اضطرابات نفسية، بل يشمل جميع المراهقين، وهناك عدة عوامل مسببة له. حاول مارسلي (1984) اختصارها ضمن عوامل داخلية وأخرى خارجية؛ تتمثل العوامل الداخلية في: المشاكل الجسدية (البلوغ)، ظهور النشاط الجنسي، المشاكل النرجسية، الوضعية المثالية للأنا.

كما يرجع حجازي (1995) هذه العوامل الداخلية إلى الانحرافات المرضية المتمثلة في حالات من الضعف العقلي أو إصابات عضوية دماغية تحول دون إدراك الواقع بصفته الصحيحة، هذا ما أكدته دراسات ميدانية على نزلاء المؤسسات العقابية، بحيث برهنت على أن معظم هؤلاء لديهم ذكاء متوسط إلى منخفض، أو ضعف عقلي بسيط مما جعل ردود أفعالهم تتصف بالنزوية والعشوائية وعدم القدرة على تقدير عواقب الأمور وانعدام الاستفادة من التجارب والخبرات السابقة.

أما عن الإصابات العضوية الدماغية كالتلف المخي، قد تكون السبب في الجنوح نظرا لتأثيرها المباشر على السلوك الظاهر من خلال عدم القدرة على التحكم في الحركات والانفعالات، فالاضطراب الكيميائي في الدماغ يضمر وظائفه العليا ويجعل سلوك الشخص غير متكيف وتلقائي (حجازي، 1995، ص140).

أما العوامل الخارجية فتتمثل في: تغيير الوضع الاجتماعي، فالانتقال من مرحلة الطفولة إلى الرشد مرورا بالمراهقة يشكل مرحلة تغيير، وكل تغيير يعتبر محرضا عل التصرف والفعل. إذ يبحث المراهقون عادة عن الحرية، الاستقلال الانفصال، وكلها أمور تدعم الفعل.

التفاعل الاجتماعي: من الجيد أن نعرف أن كل تصرف يجر إلى آخر سواء بالتقليد، أو كرد فعل لتصرف آخر؛ ضغوط الحياة: قد يفرض المحيط ضغوطا جامدة وشديدة، أو معارضة للحاجات الطبيعية للمراهقين، ينتج عنها المرور إلى الفعل.

النبذ الاجتماعي: الذي لا يظهر شكليا بحيث أن الحدث يظل محتفظا بعلاقاته مع أسرته، ولكن طابع التذبذب فيها يكون واضحا من خلال الصراعات الدائمة التي قد تحرك لديه الرغبة في البحث عن جماعة تعترف بوجوده وغالبا ما تكون الجماعات المنحرفة(حجازي، 1995، ص142-143).

من جهة أخرى يكاد يكون هناك اتفاق في أغلب الدراسات العربية في تحديد أسباب السلوكات المنحرفة، نذكر منها دراسة سعيد محمد نصر وآخرون (1993) التي أرجعت انحرافات السلوك لدى المراهقين بدولة الإمارات العربية المتحدة إلى التنشئة الاجتماعية أثناء الطفولة التي تتسم بالإهمال والانتهاك الجسدي والجنسي والقسوة الشديدة أو اللين المفرط، والتي تزيد من معدلات الانحراف بين الأحداث نتيجة عدم قدرتهم على إكسابهم أنماط السلوك التكيفي السوي، بالإضافة إلى ضعف العلاقات والروابط(محمد نصر وآخرون، 1993).

وهذا ما أكده عكاشة باعتبار أن ظروف التنشئة أثناء مرحلة الطفولة تلعب دورا مهما في تطور الشخصية وخاصة في مرحلة ما قبل المدرسة ويلعب الوالدين فيها دورا رئيسيا، كما أن الإهمال والانتهاك الجنسي والجسدي للطفل له دور في نمو اضطرابات الشخصية وخصوصا اضطراب الشخصية البينية والمضادة للمجتمع(عكاشة، 1998).

دراسة أخرى للباحث محي الدين مختار (1995) حول دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بظاهرة انحراف الأحداث، إذ أظهر الباحث الدور الذي يجب أن يقوم به كل من الآباء والمعلمين داخل المدارس، وكذلك ركز على الحاجات النفسية والاجتماعية لنمو الشخصية المتكاملة للأبناء في ظل مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة منها الأسرة والمدرسة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن تفكك البناء الداخلي للأسرة أدى إلى وجود خلل وظيفي، أي أن تغير حجم الأسرة وبنائها أدى إلى تخليها عن بعض وظائفها أو التقصير في أدائها، وخاصة منها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي التربوي. وهناك ترابط بين ارتفاع نسبة الانحراف عند الأحداث الذكور وبين عدم قيام مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالأدوار الاجتماعية الموكلة إليها.

أكدت عدة بحوث نفسية تطورية مهتمة بمرحلة المراهقة على أن أزمة الهوية و البحث عن الاستقلالية والصراعات العائلية والشخصية، تعتبر من أهم العوامل المؤدية إلى الجنوح كتعبير عن صعوبة هذه المرحلة من الحياة واكتشاف الحدود الأخلاقية والاجتماعية، وأكيد هذا دون تهميش العوامل الاقتصادية والثقافية.

من كل ما سبق يمكن القول أن العوامل الكامنة وراء الجنوح تتباين وتختلف لتتداخل في الأخير وتتفاعل فيما بينها من أجل إضفاء سمة التكامل في دراسة بواعث السلوك الجانح.

6- الخصائص النفسية للأحداث الجانحين

يؤكد مارسلي "Marcelli" (1984) أن المرور إلى الفعل قد يرمز إلى اضطراب سلوكي خارجي، وهو يعتبر كرد على مواقف الصراع التي يعيشها المراهق، أما على المستوى العيادي فهو يساعد على تمييز عدة عناصر أو صور يمكن أن تتعلق بالسرقة، الاعتداء، الهروب، الانتحار، الإدمان، أو السلوكات الجنسية.

في دراسة عربية عن الأحداث الجانحين توصل اليوسفي (1988) إلى بعض محددات أنماط الشخصية لديهم والتي تأثر على سلوكهم المنحرف والمتمثلة في: العدوانية، انخفاض التوتر مقابل السعادة، الانحراف السيكوباتي، العصبية مقابل الانزواء. ويعاني الجانحين من بعض اضطرابات الشخصية المتمثلة في سوء التوافق الاجتماعي وإظهار العدوان.

كما يرى مارسيلي، أن السير الخطيرة في المراهقة (محاولات انتحارية، إدمان على المخدرات، أفعال منحرفة) تسجل إما في إطار الشخصية الضد اجتماعية المنظمة بهذا الشكل مع المراهقة، وإما في التنظيم الحدي للشخصية(Marcelli, Braconnier, 2000, P96).

بينما يؤكد رايخ Reich أن الجانح يعزل وبصورة مؤقتة أناه الأعلى الذي يكون في حالة وهن وضعف شديد حتى يتم العمل الجنوحي(Reich, 1971, p 80).

في حين بينت الدراسة الجزائرية اسماعيلي وآخرون (2015) أن الأحداث الجانحين يتميزون بسمات شخصية معينة كالسيطرة والاندفاعية، عدم الأمان، والتوتر، مقارنة بغيرهم من غير الجانحين، كما أن سمة الامتثال و الدهاء تنخفض عندهم مقارنة بغير الجانحين الذين ترتفع لديهم سمة الامتثال والدهاء وهي سمات احترام قواعد المجتمع وعدم الخروج عن قواعد الضبط الاجتماعي(اسماعيلي وآخرون، 2015).

7- تقديم حالة الدراسة

نقدم حالة الدراسة الميدانية المتمثلة في مراهق جانح عمره 16 سنة، وفيما يلي جدول رقم 1 يوضح حالة الدراسة وفق السن ونوع الجنحة المرتكبة.

جدول رقم 1: حالة الدراسة وفق السن ونوع الجنحة المرتكبة

السن	16 سنة	المجموع
نوع الجنحة	الاعتداء على الأشخاص والممتلكات	01

تمثلت حالة الدراسة في مراهق جانح عمره 16 سنة، تم إيداعه بمركز إعادة التربية، وتمثلت الجنحة المرتكبة في الاعتداء على الأشخاص والممتلكات.

8- أدوات البحث

تم الاعتماد في هذه الدراسة على مقياسين هما: مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية لهيلر ومعاونوه (1988)، ومقياس الإدراك الأسري (F.A.T).

8-1- مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية لهيلر ومعاونوه (1988)، ويهدف الاختبار إلى تشخيص اضطرابات الشخصية وفقا للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية وتوجد طبعتان لهذا المقياس، تم الاستعانة هنا بالطبعة الثانية، يتكون المقياس فيها من 99 بند، ليس هناك وقت محدد لتطبيق الاختبار. طبق الاختبار على المراهق، ويجيب عن أسئلة الاختبار بـ "نعم" أو"لا".

8-2- مقياس الإدراك الأسري (F.A.T):

يرمز لاختبار الإدراك الأسري بالحروف اللاتينية (F.A.T) التـي معناها (Family Apperception test)، وقد صمم هذا الاختبار الاسقاطي على يد كل من الكسندر جوليان (Alexander Jullian) وسوزان-أ-هنري (Susan-A-Henry) وماري سوتيل (Marry Sutile) بمساعدة دانا كاستر (Dana Caster). هو من أبرز الاختبارات الإسقاطية وأفضلها في تقديم مقاربة نسقية للنظام العلائقي الموجود على مستوى العائلة. فهو يعد من الاختبارات الاسقاطية المنحدرة من التنظير النسقي.

يحتوي هذا الاختبار على 21 لوحة بالأبيض والأسود في كل منها رسم لمشهد وضعيات عائلية. يستغرق تمرير اللوحات مدة زمنية تقريبية ما بين 30 و35 دقيقة. يطبق على الأطفال ابتداء من 06 سنوات وما فوق ويحتوي على دليل التطبيق وورقة التنقيط. تشبه طريقة تمرير اختبار "الإدراك الأسري "طريقة تطبيق الاختبارات الإسقاطية الأخرى باستثناء التعليمة التي تؤكد أكثر على الإطار المعرفي العاطفي المركز على الأسرة.

9- نتائج الدراسة و مناقشة الفرضيات

9-1- نتائج مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية:

الحالة ذكر 16 سنة توقف عن الدراسة في المستوى المتوسط، تمثلت الجنحة المرتكبة في الاعتداء على الأشخاص والممتلكات، لجأت الحالة إلى هذا السلوك الجانح بعد طلاق والديه، ومن الأسباب التي ساهمت في جنوح هذا الحدث هي: مرافقته للأشخاص الجانحين، بالإضافة إلى مصاحبة الحالة لمن هم أكبر منه سنا وقيامه معهم بالأعمال المخالفة للقانون. وكانت نتائج تطبيق مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية هي: الشخصية البينية.

تمثلت سمات الشخصية البينية في: عدم الاستقرار العاطفي والعلائقي، وجود صراعات نفسية، بالإضافة إلى العلاقات الصراعية وشعوره بالفراغ، بالإضافة إلى اندماجه مع جماعة الرفاق المنحرفة، الأمر الذي ساهم في انحرافه وارتكابه لجنحة الاعتداء على الأشخاص والممتلكات.

تتفق هذه النتائج مع اضطراب الشخصية البينية حسب السمات التي ذكرها فام سكوتز وغالفي (2003) والمتمثلة في عدم الاستقرار العاطفي، والعلائقي والسلوكي. وباضطراب الهوية وصورة الذات وعدم الاستقرار والاندفاعية لهؤلاء الأفراد، فهم لديهم سلوكيات غير متوقعة، والإقدام على الفعل الموجه نحو إيذاء الذات، وتكون العلاقات الشخصية غير مستقرة، حادة، صراعية، فالفرد يتأرجح بين التبعية والعدائية كما يتميز هذا الاضطراب بالشعور بالفراغ والنقص واستجابات مزاجية (حصر، غضب، اكتئاب)(حدار، 2003، ص 72).

وفي نفس السياق يفسر السلوك الجانح باعتباره من الأفعال المضادة للمجتمع، على أنه حالة ناتجة عن فقر عاطفي. وذلك بسبب عدم استمرارية الموضوع في التواجد باستمرار، فالطفل في هذه المرحلة لا يتحمل توالي الأفراد على العناية به أو غياب طويل للأم، الذي سيؤدي إلى عدم الإحساس بمهاجمة الداخل، وبذلك لا يتكون الإحساس بالذنب لا شعوريا، ويؤدي بالتالي لغياب نمو الأنا الأعلى عنه(Gilbert, 2001, p 35).

2-9- نتائج مقياس الإدراك الأسري:

أوضحت نتائج اختبار الإدراك الأسري للحالة اضطراب واضح في النسق الأسري الخاص بالحالة، ويظهر ذلك في محتوى اختبار F.A.T الخاص بالحالة، حيث نجد في الدليل العام سوء التوظيف وهذا ما يدل على وجود صراعات واختلال في النسق، توافقت هذه النتائج مع ما أشار إليه (Olson,1989) حيث توصل إلى أن الأسر التي تخلو من المشاكل والاضطرابات تقع في منطقة النمط المتوازن، في حين تتموقع الأسر التي يعاني أفرادها من الجنوح والمخدرات في منطقة النمط غير الوظيفي، وهو النمط الذي تتميز به أسرة الحالة(بوزار وآخرون،2020). وتظهر الصراعات غير المعالجة في اللوحات (1،13،91012،8،6،3،2،18)، كما يبدو لجوء هذه الأسرة إلى الحلول السلبية أكثر من الايجابية (n=05)، وهذا ما ظهر جليا في قول الحالة أن الشجار لا يتوقف في منزلهم.

يعاني المراهقين الجانحين من سوء توظيف النسق الأسري، فنجد أن علاقة الحدث مع أسرته تتميز بالصراعات، الانغلاق وعدم التمييز واحترام الحدود، بحيث تأكد أن الأحداث المتواجدين في العائلات المريضة أو المضطربة العلاقات تتميز بسوء التوظيف النسقي ويتجهون للجنوح. (خليفة، 2001، ص 187)

يظهر بروتوكول الحالة أيضا بروز سلوك سوء المعاملة والإهمال حيث سجل (n=05)، نتائج الحالة تتوافق مع ما توصل إليه أحسن جاب الله (2011) إلى أنه من بين أسباب اختراق القوانين لدى المراهقين ترجع إلى سوء المعاملة والإهمال الأسري والتسلط الوالدي، وهو ما تأكد من خلال كثرة المشاكل والصراعات الأسرية، والتعرض للعنف اللفظي والجسدي من طرف الوالد، كذلك الهروب المتكرر من المدرسة والبيت، كل هذه العوامل قد ساهمت في اضطرابه وانحرافه.

نتائج هذه الحالة أيضا، تتماشى مع ما توصلت إليه حليمة تعوينات (2016) حيث أشارت إلى أن الأطفال الذين يعاملون معاملة سيئة باستمرار من قبل الأب أو الأم تنشأ عندهم اضطرابات نفسية وانفعالية حادة ينجم عنها سلوكات ضد المجتمع وقد يدخلون في زمرة الأحداث المنحرفين، وتكون لأسباب متنوعة، أهمها: التفكك الأسري، الطلاق، تخلي الأب عن الأسرة، الإدمان على الكحول والمخدرات، وهو ما يتفق مع نتائج الحالة حيث عاش في جو أسري يتميز بالقسوة وسوء المعاملة النفسية والجسدية إضافة إلى غياب الدور الوالدي (قسوة الأب وسلبية الأم). تم التوصل من خلال نتائج المقياس إلى أن الصراع الأسري والزوجي الذي يسود هذه الأسرة جعل عناصر النسق الأسري مضطربة و تسودها علاقات صراعية، مما أدى لوجود مشاعر القلق والعداوة (n=05) والاكتئاب والإحباط (n=05). كل هذا ساهم في لجوء الحالة لسلوكات خطيرة وعنيفة (التدخين، المخدرات،الاعتداء على الأشخاص والممتلكات).

كما أشار البلبيسي (1990) في دراسة قوامها (220) جانح وجانحة لمعرفة العوامل الأسرية التي تساهم في جنوح الأحداث، إلى أن نسبة 65% من عينة الدراسة تسود أسرهم الصراعات والمشاجرات والحلول السلبية(العكايلة، 2006، 188). ويرى شفيق أن التوتر في جو

الأسرة والخلافات بين أفرادها يؤدي إلى توتر نفسي مقترن بالافتقاد إلى الأمن والانتماء، مما يصاحبه أنماط غير سوية من السلوك بين الأبناء(شفيق،2000، 201).

يميل النسق الأسري للحالة إلى الانغلاق لا سيما في علاقاته مع والده، كما اتضح أن النمط المهمل وكذلك عدم إدراك الوالدين لكيفية التعامل مع الابن في هذه المرحلة العمرية الحساسة، أدى إلى سوء تكيفه مع نسقه الأسري وشعوره بعدم الانتماء، وبالتالي البحث عن بديل لمن يقدم له الإشباع والاحتواء الأسري، ليثبت ذاته وشخصيته، ويجد مكانته التي كانت ممحية أو مغيبة داخل نسقه الأسري، والتي يحاول إظهارها وإثباتها من خلال لجوئه إلى السلوك المنحرف ومصاحبة جماعة المنحرفين التي قادته للجنوح.

ومع الوقت يصبح الحدث خاضعا لهذه الجماعة المنحرفة ومنساقا وراء مطالبها وأوامرها خوفا من فقدان الانتماء لها، لما توفره له من حاجات معنوية وأخرى مادية عجزت الأسرة عن توفيرها أو تلبيتها.

9-3- مناقشة الفرضية العامة:

تحققت الفرضية العامة التي مفادها أن الحدث الجانح يعاني من اضطراب نفسي، فنتائج مقياس تشخيص اضطرابات الشخصية للحالة أسفرت على أنه يعاني من اضطراب الشخصية البينية. ويعيش ضمن جو أسرة مضطرب يتميز باختلال الدور الأبوي، بالإضافة إلى الصراعات والمشاكل الأسرية.

9-4- مناقشة الفرضية الجزئية الأولى:

كان مفاد الفرضية الجزئية الأولى أن: الحدث الجانح يعاني من اضطراب الشخصية الحدية أو الاضطراب السيكوباتي. لم تسفر النتائج عن وجود اضطراب الشخصية السيكوباتية، إلا أننا وجدنا أن الحالة تعاني من اضطراب الشخصية الحدية الذي ظهر من خلال الأعراض التالية:

- عدم استقرار العلاقات البيشخصية وصورة الذات والعواطف؛
- نموذج علاقات شخصية غير مستقرة تتصف بالتذبذب والخفض من قيمتها؛
- اضطراب الكيان الذي يظهر في صورة الذات المهتزة اهتزازا واضحا وغير المستقرة، مع اضطراب الإحساس بالذات.
- نزعة لا تقاوم يحددها الدليل التشخيصي الرابع والخامس في مجالين على الأقل، ظهرت عند الحالة في: تعاطي المخدرات، والاعتداء على الأشخاص والممتلكات.
- عدم الاستقرار الانفعالي بسبب إعادة تنشيط واضح للمزاج: كرب عارضي شديد، فرط تهيج، أو قلق يدوم ساعات ونادرا ما يستمر أياما قليلة؛
- مشاعر مزمنة من الفراغ؛
- غضب حاد و غير متناسب مع الموقف ،أو صعوبة ضبط الغضب (أي انفجارات عصبية متكررة، غضب مستمر، عراكات بدنية ناكسة).

هذا ما يتفق مع فكرة شرماط (2014) المتمثلة في أن الجنوح يعد تعبيرًا عن اضطراب نفسي، يميز شخصية الجانح ويؤدي إلى سوء التكيف. ويعتبر الحدث جانحا، إذا ما استمر في إتيان سلوك لا اجتماعي متطرف وبمعنى آخر الجنوح ما هو إلا انعكاس لسوء التوافق النفسي والانفعالي للحدث الجانح، والذي يظهر في عدم قدرته على التكيف مع المعايير الاجتماعية السائدة.

يرجع عوض حسن (2000) أسباب الجنوح إلى: نقص الرقابة الوالدية بسبب الهجرة إلى العمل أو الطلاق....، وبالتالي غياب سلطة أبوية ضابطة تحكم وتوجه سلوك الطفل أو الحدث، مما

ينعكس سلبا على الصحة النفسية للأطفال وظهور بعض الاضطرابات السلوكية الواضحة(عوض حسن، 2000 ، ص 11).

كما توصلت غزالي (2011) في دراستها حول: "النسق الأسري وعلاقته بظهور المحاولات الانتحارية لدى المراهق"، دراسة مقارنة لـ 20 حالة، إلى التعرف على مدى تأثر أفراد الأسرة فيما بينهم ومدى تأثير هذه العلاقة على الحدث لتؤدي به إلى اضطرابات نفسية، وباستخدام اختبار"بيك" للاكتئاب واختبار الإدراك الأسري، توصلت الدراسة إلى أن النسق الأسري المتصارع له علاقة بظهور الاضطرابات النفسية، وعلى العكس من ذلك ساهم النسق الأسري المتوازن في الوقاية من جنوح الأحداث خاصة في مرحلة المراهقة.

نشير أن نتائج دراستنا كانت لصالح اضطراب الشخصية الحدية، وربما لو تمت الدراسة على عدد معتبر من الأحداث الجانحين لوجدنا أيضا إصابتهم بالاضطراب السيكوباتي أو اضطرابات نفسية أخرى.

9-5- مناقشة الفرضية الجزئية الثانية:

تحققت الفرضية الجزئية الثانية التي مفادها أن النسق الأسري للحدث الجانح يتميز بطابعه الفوضوي من خلال اضطراب الدور الوالدي، سوء التوظيف العائلي وهذا ما يبرر وجود صراعات واختلال في النسق. يتميز النسق الأسري للحالة بكثرة الصراعات الأسرية والزوجية التي أدت إلى عدم التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي للحالة.

إن الأسرة المختلة وظيفيا لديها قواعد مختلة وظيفيا، هذا الاختلال يبدو في القواعد غير المكتوبة مثل تبادل المشاعر أو وجود بعض السلوكات التي تسبب الألم داخل الأسرة أو وجود أسر لا تقبل المناقشات أو التعبير عن العاطفة والغضب، أو تشجيعها للتعبير عن المشاعر الزائفة غير الحقيقية(كفافي، 1999، 107).

اظهر بروتوكول الحالة ارتفاع تكرار الصراع الأسري والصراع الزوجي، حيث يظهر الصراع الأسري خاصة بين الأب والابن وعدم التفاهم في العديد من الأمور، إذ يظهر الأب كعامل ضاغط مما يؤدي إلى حدة الصراع الأسري مع انتهاج أساليب غير سليمة وسلبية كاللجوء للعنف اللفظي و الجسدي في حل الصراعات الأسرية بين الأب والحالة وحتى باقي أفراد النسق، كل هذا يؤثر سلبيا بدوره على سلوك الحالة.

خلصت دراسة باعبيد (1997) حول "أساليب التربية الخاطئة والجو النفسي في الأسرة وعلاقته بانحراف الصغار"، التي هدفت إلى معرفة العلاقة بين بعض المتغيرات الأسرية وانحراف الأحداث، تكونت عينة الدراسة من مجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة تتراوح أعمارهم ما بين (15-18) سنة، ومن أهم النتائج المتوصل إليها أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المنحرفين وغير المنحرفين بالنسبة لأساليب التربية الوالدية، حيث أن المنحرفين كان آباؤهم يعاملونهم معاملة قاسية تقترن حتى بالعنف اللفظي والجسدي.

يعتبر الحرمان العاطفي من بين الأسباب الدافعة للسلوك الجانح هذا ما أكدته عدة دراسات من بينها دراسة بولبي عن العلاقة بين الحرمان العاطفي والسرقة ويتجزأ الحرمان العاطفي إلى نوعين لخصها حجازي (1995) في:

- الحرمان العاطفي الكلي: ونقصد به فقدان الطفل لأية علاقة بالأم أو البديل منذ الولادة، ونشوئه في مؤسسات الرعاية والحماية، مما يؤثر سلبا على نموه النفسي والعقلي والاجتماعي، هذا ما يظهر جليا في فترة المراهقة .
- الحرمان العاطفي الجزئي: يقصد به نمو الطفل في مراحل التطور الأولى مع الأب والأم واكتسابه لتجربة علائقية أولية بغض النظر عن مميزاتها، لتنهار بعد ذلك جزئيا أو كليا مما ينعكس سلبا على توازنه وتوافقه النفسي وتكيفه الاجتماعي اللاحق.

- الخاتمة

نستنتج في الأخير أن أساليب التربية الأسرية تلعب دورا هاما في تحديد وتوجيه سلوك الحدث، وأن السلوك الانحرافي والجنوح عند الحدث ما هو إلا انعكاس لأساليب تربوية أسرية غير سوية أو خاطئة تناولتها أغلب الدراسات السابقة.

يتمثل دور الأسرة في حماية أبنائها من المشاكل النفسية والاجتماعية، يطلق على هذا النوع من الأسر بالأسرة الوظيفية أو الفعالة، بالمقابل تدفع الأسر غير الفعالة بأبنائها إلى السلوك المضطرب أو الجنوح، ولعل حالة البحث ضحية لأسرة فوضوية، ذات نظام غير وظيفي أو غير فعال في حماية أبناءها. هذا النسق الأسري المغلق الذي يتسم بدينامية هدامة وانعدام التواصل والتنشئة غير الصحية قد يكون سببا في جنوح الحدث.

يمكننا مساعدة هذا الحدث بإعادة هيكلة أو تخطيط نظام الأسرة، يتم هذا من خلال إعادة بناء العلاقات الأسرية على أسلوب المرونة والاتصالات المفتوحة والواضحة بين أفرادها. يمكن الوصول إلى تحقيق هذه الأخيرة من خلال ممارسة مهارة التعبير ومهارة الإنصات من طرف كل أفراد الأسرة لاسيما الوالدين؛ ويمكن انجاز هذه الخطوات بسهولة بتعاون الأولياء مع المختص النفسي.

تتمتع الأسرة السوية بتواصل أكبر وتفاعل أفضل، أما الأسر غير الوظيفية أو المضطربة تتسم بتواصل مضطرب، يتميز بوجود رسائل مقنعة وغير واضحة مما يؤدي إلى زيادة التوتر داخل الأسرة، فاضطراب عملية التواصل لا يعكس فقط اضطراب الأسرة بل قد يساهم في ظهور الاضطراب النفسي والجنوح عند أفرادها.

إن ارتكاب الأحداث للسلوك المنحرف له علاقة بالعديد من العوامل النفسية والأسرية التي تساهم في حدوثه، فإصابة المراهق باضطراب نفسي معين يساهم في اضطراب سلوكه وتفكيره. كما أن النسق الأسري المضطرب يساهم هو الآخر في جنوح الحدث لأن هذا النسق بدلا من أن يوفر له الأمن و الاستقرار النفسي دفع به إلى الجنوح. وفي حال تشخيص الحالة على أنها تعاني من اضطراب نفسي معين لابد أن تخضع للكفالة النفسية بصفة جدية ومنتظمة لاسيما طيلة مكوثها بمركز إعادة التربية.

لابد من القيام بحصص أو ندوات توعوية من طرف الأخصائيين النفسانيين والاجتماعيين للأولياء بأهمية وخصوصية مرحلة الطفولة والمراهقة في تكوين الشخصية السوية، من خلال إعطاء معايير تساعد الأولياء للتعرف أكثر على شخصية أبنائهم، والتعرف على عوامل الخطر التي يمكن ان تؤدي بالأحداث للجنوح. كما يجب وضع برامج وقائية للأحداث الذين يحتمل إصابتهم باضطرابات الشخصية أو جنوحهم، مع العمل على عدم نبذ فئة الجانحين، بل يجب العمل على محاولة إدماجهم في المجتمع ليصبحوا عناصر بناءة وفعالة. لذا لابد على المختصين الحرص

على إيجاد طرق وأساليب تكفل ناجعة على مستوى المؤسسات المتخصصة للوقوف على السمات النفسية للحدث ونوع الجو الأسري الذي يعيش فيه هذا الحدث.

تتطلب الوقاية من جنوح الأحداث تضافر الجهود والتعاون الفعال بين مختلف الجهات المعنية، بدءا بالأسرة، مرورا بالمؤسسات التعليمية والمساجد ووسائل الإعلام والجمعيات، وصولا إلى الدولة والقضاء بصفة خاصة. كما أن معالجة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء مشكلة انحراف الأحداث تتطلب إثارة الانتباه إلى نسب ونوع الانحرافات الموجودة في كل سنة والفئة العمرية، مع محاولة حقيقية وعميقة لمعرفة الأسباب الكامنة وراء السلوك المنحرف، وبالتالي الوصول إلى الوقاية منه.

- قائمة المراجع

- رزق سند إبراهيم، ليلة. (1990). *قراءات في علم النفس الجنائي*، بيروت: دار النهضة العربية.
- الكتابي مجاهد، الشهاب. (1986). شخصية *الجانح دراسة ميدانية لشخصية الحدث المنحرف في المغرب*، المغرب: دار الآمان للنشر والتوزيع.
- اليوسفي، عبد الحميد أحمد. (1988). *بعض محددات أنماط الشخصية لدى الأحداث الجانحات وآثارها على سلوكهن*، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر.
- الستار، إبراهيم وعسكر، عبد الله. (2005). *علم النفس الإكلينيكي في ميدان الطب النفسي*، القاهرة- مصر.
- حدار، عبد العزيز. (2013). *تشخيص اضطرابات الشخصية*، ط1، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.
- أحمد رشوان، حسين عبد الحميد. (2012). *الأسرة والمجتمع "دراسة في علم اجتماع الأسرة"*، ط1، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة.
- العكايلة، محمد سند. (2006). *اضطرابات الوسط الأسري وعلاقتها بجنوح الأحداث*، ط1، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- حسن العزة، سعيد. (2000). *الإرشاد الأسري" نظرياته وأساليبه العلاجية"*، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- مؤمن، داليا. (2004). *الأسرة والعلاج الأسري*، ط1، الأردن: دار السحاب للنشر والتوزيع.
- كفافي، علاء الدين. (1999). *الإرشاد الأسري*، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- شرماط، العربي. (2014). التفكك الأسري وعلاقته بتكوين مفهوم الذات لدى الحدث الجانح مقترف جنحة السرقة بالمغرب- دراسة ميدانية-، *المجلة الدولية التربوية المتخصصة*، 3(8)، ص ص 21- 43، الجزائر.
- الزبيدي، كامل علوان. (2008). *علم النفس الجنائي*، ط1، عمان: مؤسسة الوراق للطباعة والنشر.
- الدوري، عدنان. (1980). *جناح الأحداث المشكلة والسبب*، الكويت: مكتبة الفلاح.
- جابر، سامية. (1997). *الانحراف و المجتمع*، ط1، بيروت: دار المعرفة الجامعية.
- روح الفؤاد محمد، إبراهيم. (2006)، *اضطرابات الشخصية وعلاقتها بالإساءة للمرأة في العلاقات الزوجية والعمل*، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر.
- حجازي، مصطفى. (1995). *تأهيل الطفولة غير المتكيفة " الأحداث الجانحون"*، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني.
- Marcelli D., Braconnier B. (1984), *Psychopathologie de l'adolescent* , Paris, Masson.

- حجازي، مصطفى. (1995). *تأهيل الطفولة غير المتكيفة " الأحداث الجانحون "*، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني.
- سعيد، محمد نصر وآخرون (1993). *انحرافات السلوك لدى المراهقين*، ط1، الإمارات.
- عكاشة أحمد. (1998). *الطب النفسي المعاصر*، القاهرة- مصر.
- Marcelli D., Braconnier A. (2000), *Adolescence et psychopathologie*, Paris, Masso.
- اسماعيلي، يامنة وآخرون. (2015). *سمات الشخصية لدى الجانحين*، ط1، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- بوزار، يوسف وآخرون. (2020)، أهمية النسق الأسري في الارجاعية لدى المعتدين عليهم جنسيا ، *نفسانيات وأنام*، 5(1)، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص ص 57- 70، الجزائر.
- خليفة، صابر. (2001). *مبادئ علم النفس*، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- تعوينات، حليمة. (2016). المعاملة الوالدية السيئة و انحراف الأحداث، *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية*، 8(27)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص ص 629- 640، الجزائر.
- عوض، حسن جابر. (2000). *الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة*، الإسكندرية: الكتبة الجامعية.
- غازلي، نعيمة (2012)، *النسق الأسري وعلاقته بظهور المحاولة الانتحارية لدى المراهق*, رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.